التأثير تتحرك بكل ما تملك من شدة لتغير من لسان القوم كما تغير من ضميرهم . وإذا كانت النفوس قد تغيرت ، فكيف تتغير النفس ، ولا يتغير أدبها المعبر عنها ؟

والغريب أن يعود الدكتور زكى مبارك فيرى أن العرب وإن كانوا قد تجنبوا محاكاة القرآن، «فان ذلك لا ينافي تأثرهم به ، وتأثيره فيهم ، فان هناك عدوى روحية تمس القلب والعقل ، وتصبغ الآثار الأدبية بصبغة ما يقرأ المرء أو يسمع وإن تكلف الهرب وحسب نفسه بمنجاة من المحاكاة والتقليد»[1]. بل إن الكاتب يعود مرة أخرى ، ويقع في شيء من التناقض حين يعرض لوجوه الاختلاف العميق بين الحياة الجاهلية والحياة الإسلامية ، ثم ما كان من إسقاط المسلمين جانباً من الأدب الجاهلي نتيجة لوجوه هذا الاختلاف بين الجاهلية والإسلام . يقول :

« كانت الحياة الجاهلية تختلف عن الحياة الإسلامية اختلافاً شديداً . ففي الأعوام التي سبقت الإسلام كانت في الجزيرة عادات وتقاليد وأوضاع لها ألوان وثنية أو نصرانية أو يهودية ، فلما جاء الإسلام تبدلت تلك التقاليد ، وصار من اللائق تناسي ما يمسها من الأدب الجاهلي وصفاً أو شرحاً أو تعليلا ، ورأى العرب المسلمون أن في ذلك الأدب جوانب خطرة يجب إسقاطها والقضاء عليها صوناً للوحدة الإسلامية . وليس في هذا شيء منكر ، لأن الأدب يتصل أكثره بحياة الناس وسيرهم وأخبارهم وأخلاقهم من شمائل مرضية أو طباع ذميمة ، وفي حياته حياة لما وصف أو شرح أو علل من الأخلاق والسجايا والمعتقدات . وقد يتفق أن يكون في العرب المسلمين من تناوله شعراء الجاهلية وكتابهم وخطباؤهم بالقدح والثلب والتحقير ، وقد يتفق كذلك أن تكون هناك قبائل تهاجت وتحاربت في الجاهلية ، ثم ألف بينها الإسلام . أفيكون من الحزم أن يعود الرواة إلى ذلك الأدب فيرووه ويحيوه وفيه إثارة لما سكن وهدأ من قديم الأحقاد ؟ . . والذى نقضى به فى

---

(١) النثر الفنى فى القرن الرابع ـ الجزء الأول ـ هامش ص ٦٧ .